

المسلمون في زمان الفتن كما أخبر الرسول ﷺ

للإمام الفقيه العارف عبدالغنى بن إسماعيل النابلسي
المسمى بتكميل النعوت في لزوم البيوت

تحقيق

مجدى بن منصور بن سيد الشورى

حقوق الطبع محفوظة للناشر



المسلمون في زمان الفتن

كما أخبر الرسول ﷺ

للإمام الفقيه العارف عبد الغنى بن إسماعيل النابلسي

المسمى بتكميل النعوت في لزوم البيوت

تحقيق

مجدى بن منصور بن سيد الشورى

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر



الطبعة الأولى
رمضان ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م فبراير

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة

رقم الإيداع

الناشر مكتبة القاهرة
شارع الصناديقية بالأزهر
ت ٥٩٠٥٩٠٩
ص.ب ٩٤٦ القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي شرف عباده المؤمنين في آخر الزمان بالسكوت، حيث اعتبر الناس المتكر معروفاء، والمعروف منكرا، والتبست الصفات الحسنة عليهم بقبائح النعوت، فلزم كل من أطلع على دينه من عباد الله تعالى القنع بالقوت، والإعراض عن مخالطة الناس في جميع أمورهم بلزوم البيوت. والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الذي هو بكل الكمالات منعوت، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأنصاره وأحزابه الذين ملأت أنوارهم عالم الملك والملكوت (*).

أما بعد. فيقول الفقير إلى عناية مولاه القدير: عبد الغنى بن النابلسي أخذ الله بيده، وأمه بمدده لما يسر الله تعالى الانفراد لهذا العبد الضعيف عن الناس في البيت، والاشتغال بكلام الميت الذي هو كالحى من المنصقين المتقدمين، والإعراض عن مخالطة الحى من أهل هذا الزمان الذى هو كالميت.

إن فاتك الأصحاب	نعم الأئیس ككتاب
تزينها الآداب	يحوى ضرور علوم
تحطى بها وتساب	تنال منه فنونا
ولا عليه حجاب	لا يُظهِر لك سرا
إن جششت به بواب	ولا يصمدك عنه
تغضب أو غضاب	ولا يسوءك منه
ن فيك شيء يعاب	ولا يعيبك إن كا

(*) الذين ملأت أنوارهم عالم الملك والملكوت: لعله يعنى أنوار علمهم وأنها ملأت الدنيا قرآنا وسنة. والله اعلى واعلم.

خـلـاف قـوم تـراهم	لـيـسـت لـهم الـبـسـاب
لـكـنـهـم كـذـاب	طـلـس عـلـيـهـم ثـيـاب
إـذا تـفـسـرت مـنـهـم	أـرـضـاك مـنـهـم خـطـاب
وإن تـبـاعـدت عـنـهـم	فـكـلـهـم نـعـتـاب
مـسـا هـؤـلـاء بـنـاس	بـل هـم لـعـمـسـرى كـسـلاب
فـالـبـسـعـد عـنـهـم ثـوب	وألـقـرب مـنـهـم عـسـقـاب

وقال آخر

لـما رآيت الزمان انتكسا	ولـيس فـى الصـحـبـة انـتـفـاع
كـل رـئـيس بـه مـسـلاك	وكل رأس به صـداع
لـزمت بيـتى وصنت عـرضـا	بـه مـن العـسـزة اقـتـنـاع

وقال الآخر

انفض يديك من الزمان وخيبره	واهجر بنيه كغز بقلة ضيبره
ولقد صحبت فما وجدت مصاحبا	فى الله اصحابه ولا فى غيره

وقال أحمد بن الحسن الترمذى سمعت أبا نعيم التيمى الطلحى مولى آل طلحة يقول: أكثر تعجبى من قول عائشة رضى الله عنها متمثلة بقول لبيبت .

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم	وبقيت فى خلف كجلد الأجر
---------------------------	-------------------------

ولكنى أقول :

ذهب الناس فاستقلوا فصرنا
فى أناس نعددهم من عديد
كلما جئت ابتغى النيل منهم
ويكفر إلى حتى تمنيت أنى
خلفنا فى أراذل الشناس
فإذا فتشوا فليسوا بناس
بدرونى قبل السؤال بيأس
منهم قسد أقلت رأسا براس

ولنصر بن منصور بن الحسن الخنبلى

يزهد فى جميع الأنام
وهل عسرف الناس ذونهيمة
هم الناس ما لم تجربهم
وليستك تسليم عند البعاد
قلة إنصاف من يصحب
وامسى لهم فيهم مرغب
وطلس الذئاب إذا جسرخوا
منهم فكيف إذا تقسرب

أردت أن أجمع ما وجدت من الأخبار النبوية، والآثار المنبعثة عن خلوص الظوية،
المرغبة فى الانفراد عن الناس، لأنى وجدت فى ذلك نفعا كثيرا لا يدرك بالقياس، وقد لا
منى فى ذلك الجاهلون، والله بصير بما يعملون، ورأيت اللائق أن يسمى ما جمعته
«تكميل النعوت فى لزوم البيوت» والله ولى التوفيق، ومنه الإرشاد والدلالة على اقوم
طريق.

* * *

المحقق

مجدى الشورى

المؤلف

عبد الغنى النابلسى

الانفراد عن الناس في الفتن

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ كُفْرًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

١ - وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من جاهد في سبيل الله كان ضامنا على الله، ومن عاد مريضا كان ضامنا على الله» (١). رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان واللفظ له. وعند الطبراني: «أو قعد في بيته فسلم الناس منه، وسلم منه الناس». وهو عند أبي داود ينحوه. ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «خصال ست، ما من مسلم يموت في واحدة منهن كان ضامنا على الله أن يدخله الجنة: فذكر منها: ورجل في بيته لا يغتاب المسلمين ولا يخير إليهم سخطا ولا نفمة» (*).

٢ - روى عن سهل بن سعد الساعدي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أعجب الناس إلى رجل مؤمن بالله ورسوله، ويقوم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعمر ماله، ويحفظ دينه، ويعتزل الناس» (٢). رواه ابن أبي الدنيا في العزلة.

٣ - وعن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته» (٣). رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وحسن إسناده.

(١) «حسن».

أخرجه أحمد (٤٤ / ٥) وأبي خزيمة (١٤٩٥) وأبي حبان (١٥٩٥ - موارد) والحكم في مستدركه (٢١٢ / ١) والبيهقي (١٦٧ / ٩).

(*) «ضعيف الإسناد جدا».

أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه عيسى بن عبد الرحمن بن أبي قرة وهو متروك كذا في المجتمع (٢٧٧ / ٥).

(٢) «إسناده ضعيف».

أخرجه ابن أبي الدنيا في العزلة (ص ١٧).

(٣) «إسناده حسن».

أخرجه الطبراني في الصغير (٧٨ / ١) من طريق إسماعيل بن عمار عن شرحبيل بن مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ مرفوعاً به.

٤ - وعن عقبه بن عامر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال : « واملك عليك لسانك ، وليسمعك بيتك ، وإيك على خطيئتك »^(١) . رواه الترمذى وابن أبى الدنيا والبيهقى ، كلهم من طريق عبد الله بن زيد عن على بن يزيد ، وقال الترمذى : حسن .

٥ - وعن مكحول قال : قال رجل : متى قيام الساعة يا رسول الله ؟

قال : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن لها أشراط ، وتقارب أسواق . قالوا : يا رسول الله ، وما تقارب أسواقها ؟ قال : كسادها ، ومطر ولا نبات ، وأن تفسر الغيبة ، ويكثر أولاد البغايا ، وأن يعظم رب المال ، وأن تعلو أصوات الفسقة فى المساجد ، وأن يظهر أهل المنكر على أهل الحق ، قال رجل : فما تأمرنى ؟ قال : « فرّ بدينك ، وكن حليماً »^(٢) من أحلاس بيتك »^(٣) . رواه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلًا .

٦ - وعن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بين أيديكم فتنة كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماضى ، والماضى فيها خير من الساعى . قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : كونوا أحلاس بيوتكم »^(٤) رواه أبو داود . يعنى : الزموا بيوتكم فى الفتن كلزوم الحليس لظهر الدابة .

٧ - وعن المقداد بن الأسود قال : أيم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن السعيد لمن جنب الفتن ، إن السعيد لمن جنب الفتن ، ولمن ابتلى فصبر فواها »^(٥) . رواه أبو داود . وكلمة (واها) معناها : التلهف ، وقد توضع للإعجاب بالشىء .

(١) «إسناده ضعيف» .

أخرجه الخطائى فى العزلة (١٤) وانظر المجمع (٢٩٩/١٠) والشجرى فى أماليه (١٥٦/٢) .

(٢) الحليس : الكساء يلى ظهر البعير تحت القتب .

(٣) «إسناده مرسل» .

أخرجه ابن أبى الدنيا فى العزلة (ص ١٩) مرسلًا .

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٦٢) وأحمد (٤٠٨/٤) والحاكم (٤٤٠/٤) والخطائى فى العزلة (١١) وعبد

الرزاق (٢٠٤٨٧) .

(٥) «حسن» .

أخرجه أبو داود (٤٢٦٣) .

٨ - وعن ابن عباس قال : بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال : « إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم ، وخفت أماناتهم ، وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه - فقلت إليه وقلت : كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداؤك ؟ قال : الزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة » (١) . رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن . مرجت عهودهم : فسدت . خفت أمانتهم : قلت . من قولهم : خف القوم ، أى قلوا .

٩ - وعن ابن عمر أن عمر خرج إلى المسجد فوجد معاذاً رضى الله عنه عند قبر رسول الله ﷺ يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال : « اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة ، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل غبراء مظلمة » (٢) رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقى فى الزهد ، وقال الحاكم : لا علة له .

١٠ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه ، إلا من تقرب بدينه من شامق إلى شامق ، ومن حجر إلى حجر ، فإذا كان ذلك لم تنل المعيشة إلا بسخط الله ، فإذا كان ذلك كذلك كان هلاك الرجل على يدي زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على أيدي أبويه ، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على أيدي قرابته أو الجيران . قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : يعيرونه بضيق المعيشة ، فعندئذ يورد نفسه الموارد التى يهلك فيها نفسه » (٣) . رواه البيهقى فى كتاب الزهد .

(١) حسن .

أخرجه أبو داود (٤٣٤٣) والطحاوى فى المشكل (٦٨ / ٢) وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٤٧) والبيهقى (١٩١ / ٨) .

(٢) حسن .

أخرجه الحاكم (٤ / ١) وأبو نعيم فى الحلية (٢٤٣ / ٩) والبيهقى فى الأسماء والصفات بتحقيقى (ص ٥٠٠) وأبى الدنيا فى الأولياء (٦) وصححه الحاكم .

(٣) حسن .

أخرجه الخطابى فى العزلة (٩) من حديث عبد الله بن مسعود والبيهقى فى الزهد (٤٩٧) .

١١ - وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها»^(١). رواه الطبراني وأبو الشيخ، وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب.

١٢ - وعن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال: «الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر»^(٢). رواه الحاكم والبيهقى.

١٣ - وأخرجه فى الجامع الصغير^(*) وفى شرح المناوى قال: ولهذا كان مالك بن دينار كثيرا ما يجالس الكلاب على المزابل ويقول: هم خير من قرناء السوء^(**) قال رسول الله ﷺ: «من ازداد رجل من السلطان قريبا إلا ازداد من الله تعالى بعدا، ولا كثر أتباعه إلا كثرت شياطينه، ولا كثر ماله إلا اشتد حسابه»^(٣).

١٤ - عن أبى بردة قال: دخلت على محمد بن مسلمة فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك كذلك فانت سيفك ثم اضرب به حتى ينقطع، ثم اجلس فى بيتك، حتى تأتيك يد خاطئة، أو منية قاضية»^(٤). وقد وقعت وفعلت ما قال النبى ﷺ. أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه.

(١) «ضعيف».

أخرجه الطبراني فى الصغير (١٦ / ١) والخطيب (١٩٦ / ٧) وأبو الجوزى فى الملل (٢ / ٢١٦).

(٢) «ضعيف».

أخرجه الحاكم (٣ / ٣٤٣) وأورده السيوطى فى الصغير (٩٦٦٦) ورمزه بالصحة.

(*) انظر شرح المناوى (فيض القدير) (٦ / ٣٧٢).

(**) الأولى: أورده - أو ذكره فى الجامع الصغير.

(٣) «حسن».

أخرجه أبو خيم فى الخلية (٣ / ٢٧٤) وأبو داود فى العبد باب (٤) وأحمد (٢ / ٣٧١) والبيهقى

(١٠ / ١٠١).

(٤) «حسن».

أخرجه أبى ماجة (٣٩٦٢) وأحمد (٣ / ٤٩٣) والطبراني (١ / ٢٧٢) (٩ / ٢٣٣) وابن أبى شيبة

(١٥ / ٧ / ٣٧) والحاكم (٣ / ٩٩).

١٥ - وذكر (*) ابن ماجة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي ، يغربل الناس غربلة ، تبقى ضالة من الناس قد مرجت عهدهم وأماناتهم ، واختلفوا ، وكانوا هكذا ، وشبك بين أصابعه . قال : كيف بنا يا رسول الله ؟ قال : تأخذون بما تعرفون ، وتدعون ما تنكرون ، وتقبلون على خاصتكم ، وتذرون أمر عامتكم » (١) .

١٦ - وذكر ابن ماجة عن ثوبان عن رسول الله ﷺ قال : « زويت لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ، وأعطيت الكنزين الأصفر والأحمر والأبيض ، يعنى الذهب ، والفضة ، وقيل : إن ملكك إلى حيث زوى لك ، وإنى سألت الله عز وجل ألا يسلط على أمتى جوعا فيهلكهم به عامة ، وألا يلبهم شيئا ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، وإنه قيل لى : إذا مضيت قضاء فلا مرد له ، وإنى لن أسلط على أمتك جوعا فيهلكهم ، ولن أجمع عليهم من بين أقطارها حتى يغنى بعضهم بعضا ، فإذا وضع السيف فى أمتى فلن يرفع عنهم إلى يوم القيامة ، وإن مما أتخوف على أمتى أئمة مضلين ، وستعبد قبائل من أمتى الأوثان ، وستلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، فإن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريبا من ثلاثين ، كلهم يدعى النبوة ، ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله عز وجل » (٢) .

١٧ - وذكر ابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : « أى الناس أفضل ؟ قال : « إجمل مجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله . قال : ثم من ؟ قال : ثم امرؤ فى شعب من الشعاب يعبد الله عز وجل ، ويدع الناس من شره » (٣) .

(*) الصواب : أخرج - وهكذا كل ما يأتى بلفظ ذكر .

(١) - حسن .

أخرجه ابن ماجة (٣٩٥٧) .

(٢) - صحيح .

أخرجه ابن ماجة (٣٩٥٢) .

(٣) - حسن .

أخرجه البخارى (٤ / ١٨) ومسلم فى الامارة (١٢٢) بنحوه واحمد (٣ / ١٦) (٤ / ٢٣٤) والبيهقى

(٩ / ١٥٢) والبيهقى (١٠ / ٣٥٦) والترمذى (١٦٦٠) .

١٨ - وذكر ابن ماجة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس كإبل مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة»^(١).

١٩ - وذكر البخارى عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا وأن الأمانة نزلت فى جدر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها قال: «نيام الرجل النومة فقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الورك، ثم نيام النومة فتتقض الأمانة من قلبه فيبقى أثرها مثل الخجل»^(٢)، كجمر دحرجته على رجلك لئلا ينقطع منتبراً^(٣) وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدى الأمانة فيقال: إن فى بنى فلان أمينا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولقد أتى على زمان ولا أبالى إياكم بايعت، لئن كان مسلماً رده على الإسلام، وإن كان نصرانياً رده على ساعيه، وأما اليوم فما كنت أباع إلا فلانا وفلانا»^(٤).

٢٠ - وذكر ابن ماجة عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم قوم من جلدتنا، يتكلمون بالسنتنا، قلت: فما تأمرنى إن أدركنى ذلك؟ قال: فالزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعص بأصل شجرة حتى يدرك الموت وأنت كذلك»^(٥).

(١) تصحيح.

أخرجه البخارى ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٢) وأحمد (٨٨ / ٢) أخرجه ابن ماجة (٣٩٩٠) وعبد الرزاق (٢٠٤٤٧) وأبو نعيم فى الحلية (٢٣١ / ٩) والرولابى فى الكتب (٤٦ / ٢) وأبو نعيم فى تاريخ اصفهان (٢٩٧ / ٢) والطحاوى فى المشكل (٢٠١ / ٢) وأحمد (١٠٩ / ٢).

(٢) الخجل: التنفط الذى يصير فى اليد من العمل بغاس ونحوها.

(٣) منتبراً: مرتفعاً.

(٤) تصحيح.

أخرجه البخارى (١٢٩ / ٨) (١١٤ / ٦٦ / ٩) ومسلم فى الإيمان (٢٣٠) وابن ماجة (٤٠٥٣) وأحمد (٣٨٣ / ٥) والبيهقى (١٢٢ / ١٠) والحميدى (٣٨٣ / ٥).

(٥) تصحيح.

أخرجه ابن ماجة (٣٩٧٩) وهو فى الصحيحين.

٢١ - وذكر ابن ماجة عن أنس بن مالك قال: «لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدارا، ولا الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدى إلا عيسى بن مريم» (١).

٢٢ - وذكر أبو داود عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم وأنتم من بعدى يستأثرون بهذا الفىء؟ قلت: إذا والذي بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى، ثم أضرب به حتى أفاك. قال: أولا أدلك على خير من ذلك؟ تصبر حتى تلقانى» (٢).

ولعمري فإنه هذا الزمان الذى يختصون فيه بالفىء والغنائم فى الجهاد، ولا يعطونها لأهلها، ولا يقسمونها بين الغائبين، وهو غلول فى حق المسلمين، وخيانة قبيحة فى الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

٢٣ - وذكر أبو داود عن أبى سعيد قال: بعث على رضى الله عنه إلى النبى ﷺ بذهبية فى تربتها، فقسمها بين أربعة منهم الأقرع بن حابس، وعيينة بن بدر، فقالت الانصار: تعطى صنديد أهل نجد وتدعنا؟ فقال: «أنا أتالفهم». فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كثر اللحية فقال: اتق الله يا محمد فقال: «من يطيع الله إذا أعصيته، أيا منى الله على أهل الأرض ولا تأمنونى». قال: فسأل رجل قتله، أحسبه خالد بن الوليد، فمنعه وقال: إن من ضغفىء هذا أو فى عقب هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لمن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» (٣).

وفى رواية لأبى داود عن أبى سعيد وأنس: «قيل يا رسول الله فما سيماهم؟ قال: «التحليق».

(١) ضعيف جداً - إلا جملة الساعة.

أخرجه ابن ماجة (٤٠٣٩) والحاكم (٤٤١ / ٤) والطبرانى (٣٥٧ / ١٩) وأبو نعيم فى الحلية (٩ / ١٦١).

(٢) حسن.

أخرجه أبو داود (٤٧٥٩).

(٣) صحيح.

أخرجه أبو داود (٤٧٦٤) والبخارى (٦ / ٦) ومسلم (٤٧ / ١٢).

٢٤ - وذكر أبو داود عن مسلم بن أبي بكر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيرا من الجالس، والجالس خيرا من القائم، والقائم خيرا من الماشي، والماشي خيرا من الساعي».

قيل: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال: من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، قال: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟ قال: يعود إلى سيفه فليضرب بحده على حرة، ثم ليلج ليلج ما استطاع النجاة^(١).

٢٥ - وعند أبي داود عن وابعة الاسدي عن ابن مسعود قال: سمعت النبي ﷺ يقول: فذكر نحو حديث أبي بكر، قال: «قتلها كلهم في النار، قال: قلت: متى ذلك يا ابن مسعود؟ قال: تلك أيام الهرج، حيث لا يأمن المجلس جلسه. قلت: فما تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟ قال: تكف لسانك ويدك، وتكون حلسا من أحلام بيتك. فلما قتل عثمان طار قلبي، فركبت حتى أتيت دمشق، فلقيت خريم بن فاتك، فحدثته، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو أنه سمعه من النبي ﷺ كما حدثها ابن مسعود^(٢).

٢٦ - وذكر أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ستكون فتنة صماء بكماء عمياء، من أشرف لها استشرفت له، وأشرف اللسان فيها كوقوع السيف^(٣).

٢٧ - وعند أبي داود عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون فتنة تستنطف العرب، قتلها في النار، اللسان فيها أشد من وقوع السيف^(٤). ورواه الشورى عن

(١) «صحيح».

أخرجه مسلم في الفتن (١٣) والترمذي (٢١٩٤) وأحمد (١ / ١٨٥) وأبو داود (٤٢٥٦).

(٢) «ضعيف».

أخرجه أبو داود (٤٢٥٨ / ٤٢٦٠).

(٣) «ضعيف».

أخرجه أبو داود (٤٢٦٤).

(٤) «ضعيف».

أخرجه أبو داود (٤٢٦٥) وابن ماجه (٣٩٦٧) والترمذي (٢٢٨٣).

ليث عن طاووس عن الاعجم .

٢٨- وذكر أبو داود عن أبي أمية السفياني قال: سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ . قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل أقمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعما، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين منكم» (١).

(١) «ضعيف» لكن فقرة أيام العبر ثابتة .

أخرجه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤).

الرخصة في اعتزال أئمة الفتنة في المساجد

١ - وذكر البخارى عن عبد الله بن عدى بن الخيار أنه دخل على عثمان رضى الله عنه، وهو محصور فقال: إنك إمام عامة، نزل بك ما ترى، ويصلى لنا إمام فتنة وتخرج، فقال: «الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم» (١).

٢ - وذكر البخارى عن انس قال: «ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبي ﷺ. قيل: ولا الصلاة؟ قال: أليس صنعتم ما صنعتم فيها» (٢).

قال أبو حامد الغزالي في كتابه (*): «منهاج العابدين عليك بالتفرد عن الخلق، لأنهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى، بل يمنعونك منها، بل يوقعونك في الشر والهلاك، قال حاتم الأصم: طلبت من هذا الخلق خمسة أشياء فلم أجدها: طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا، فقلت: لا تمنعوني عنها إذا فمنعوني، فقلت: لا تدعوني إلى ما لا يرضى الله ففعلوا، فتركهم واشتغلت بخاصة نفسى.

ونقول نحن الآن في هذا الزمان، بعد الألف من الهجرة: رحم الله أبا حاتم الأصم، ورحم أهل زمانه الأول، فإنه قال لهم: لا تدعوني إلى ما لا يرضى الله ففعلوا أى: لا تأمرونى أن أوافقكم على المعاصى التى أنتم مصرون عليها، ففعلوا ما قال لهم. فتركهم واشتغل بنفسه. وفي زماننا هذا كيف لا يدعون كل من اختلط بهم أن يتبعهم فيما هم فيه من الغيبة إذا اغتابوا، والنيمية إذا نموا والكذب إذا كذبوا، والافتراء إذا افتروا، والزور إذا زوروا المعاصى، حتى الكفر الذى يقعون فيه، كما قال تعالى: ﴿ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء﴾. ومتى خالفهم فى شىء مما هم فيه جعلوه مخالفاً لدين الإسلام

(١) صحيح

أخرجه البخارى (١ / ١٧٣).

(٢) صحيح.

أخرجه البخارى (١ / ١٧٧).

(* أبو حامد الغزالي: أحد أئمة الصوفية - صاحب أحياء علوم الدين الذى بعد منبع ومتمى الفكر الصوفى - رحمه الله تعالى وغفر لنا وله.

بالكلية، وحكموا عليه بأنه رافضى أو شيعى يخالف أهل السنة والجماعة، وسموا أنفسهم مع ما هم فيه من الإصرار على الكبائر وعلى الكفر الصريح أنهم هم أهل السنة والجماعة، وأن مخالفهم هالك فى الدين، ومتى سمعوا مدح المؤمنين فى كتاب أو سنة افتخروا بذلك، وأطمأنوا إليه، وحسبوا أنهم هم المددوحون بذلك، وهيهات وهيهات.

وبعد هذا كله، لو فرضنا أن الإنسان وافقهم على جميع ما هم فيه، وعمل مثل أعمالهم التى يعملونها، من المعاصى والمخالقات الشرعية، لا يسلم من ذمهم أيضا، وإذا اتيم له، وإنكارهم عليه عين القبائح التى يعملونها هم أيضا، فالذم والقذف والطعن والشتم منهم لبعضهم بعضا، وكلهم على أعمال واحدة من السوء واقع لا محالة كما شاهدناه وتحققناه منهم من غير شبهة ولا شك أصلا.

فالعزلة عنهم، وترك مخالطتهم بالكلية إلا مقدار الضرورة جدا من الأمور اللازمة شرعا، المفروضة التى لا شبهة فى وجوبها على المكلف، فلا يأسف على الاجتماع بهم لا فى علم ولا فى صلاة ولا امر من أمور الدين أصلا، لأنهم لم يعملوا الطاعات الشرعية على ما هى عليه، وإنما عملوها وقاموا فيها بالأغراض النفسانية، والهوى النفسانى، فدروسهم وعلومهم كلها أغراض نفس، مشحونة بالرياء والكبر والعجب والجسد وغير ذلك من غير تحاش أصلا، وذلك أمر ظاهر منهم لا يشك فيه أحد، والعلم الذى يتعلمه الجاهل منهم لو صدق فى إرادته للحق لعلمه الحق تعالى خيرا منه كما قال الجنيد رضى الله عنه المرید الصادق غنى عن علم العلماء (*).

وكذلك صلواتهم وجماعتهم مشتملة على عدة مكروهات كراهة تحريم كما صرح به فقهاؤنا، وأى فائدة فى صلاة يصلوها العبد فى جماعة ثم يجب عليه إعادتها وحده، وليست الصلاة بالجماعة فى المساجد التى أمر العبد بالمحافظة عليها، وذكرها الفقهاء فى كتبهم هى هذه الجماعة التى فى زماننا هذا فى المساجد، فإن هاتيك جماعة أهل الخشوع، وأهل الخضوع والورع واليقين، وهذه جماعة أهل الفسق والإصرار على المناكر، وأهل الفكر فى الدنيا والغفلة والرياء، يقف الرجل فى صلاته وقلبه مستغرق فى الدنيا، فإذا دخل بينهم المؤمن أظلم قلبه.

(*) غير العاملين.

٣ - قال رسول الله ﷺ : وإنما يلبس علينا صلاتنا قوم يحضرون الصلاة بغير طهور، فمن شهد فليحسن الطهور» (١).

وقال تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾ .

٤ - وأخرج الترمذى فى سننه عن أبى الدرداء قال : كنا مع النبى ﷺ ، فشهى ببصره إلى السماء فقال : « هذا أوران يختلس العلم من الناس ، حتى لا يقدرُوا منه على شيء ، فقال زياد بن لبيد الأنصارى : كيف تختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لنقرأه ، ولنقرئه نساءنا وأبناءنا . فقال : ثكلتك أمك زياد ، إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة ، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى ماذا يغنى عنهم » (٢) . قال جبير : فقلت عبادة بن الصامت فقلت : وتسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء ؟ فأخبرته بالذى قال أبو الدرداء ، فقال : صدق أبو الدرداء ، لو شئت لحدثك بأول علم يرفع من الناس : الخشوع ، يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا .

وقد اعتبر المجتهدون فى الإمامة تقديم الأعلم بالسنة والأقرأ والأورع ، وقد ألفوا هذا كله ، ثم صار بينهم شريعة منسوخة تعلم ، ولا يعمل بها ، ولم يعتبروا الإمام الذى اعتبرته الظلمة ، وعينوه للإمامة ونحوها ، حيث دفع لهم الرشوة ، فقالوا : هذا هو الإمام فى الراتب فهو أولى كيفما كان برأى عقولهم وقياساتهم الوهمية ، وأغراضهم النفسانية .

٥ - ولقد ذكر أبو داود فى سننه عن عبد الله بن زمعة قال : لما مرض رسول الله ﷺ وإنى عنده فى نفر من المسلمين ، فنادى المؤذن بالصلاة ، فقال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : يا عمر ، قم فصل بالناس ، فتقدم عمر فكبر ، وكان عمر رجلا مجهرا فلما سمع رسول

(١) «ضعيف» .

أخرجه ابن أبى شيبة (١ / ٥) .

(٢) «حسن» .

أخرجه الترمذى (٢٦٥٣) والدارمى (٨٧ / ١) والحاكم (٩٩ / ١) والطبرانى فى الكبير (٤٣ / ١٨) .

الله ﷺ صوته قال: فأين أبو بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس، وفي رواية لما سمع رسول الله ﷺ صوت عمر أخرج رأسه من حجرتة ثم قال: لا. لا. لا، ليصل بالناس أبي قحافة،^(١) قال ذلك مغضبا.

فانظروا يا أيها المؤمنون المنصفون، كيف كان النبي ﷺ حريصا على تقديم الأفضل في الإمامة، والاحق بذلك، مع وجود من كانت إمامته كفاية وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما ذلك إلا لسر عظيم يعلمه النبي ﷺ، وقد بين لامته بما غضب له، واهتم لاجله، أن هذا امر ينبغى الاحتفال له إلى يوم القيامة.

وأي إشكال أبلغ مما فيه أئمة أهل زماننا في المساجد والجوامع، من ترك العلم النافع، ودعواهم العلم مع الجهل الظاهر والتكبر والعجب والرياء وحب الدنيا، والتكالب على الوظائف، وأكل الحرام، والحسد لبعضهم بعضا إلى غير ذلك.

٦ - وفي سنن النسائي «عن حذيفة أنه رأى رجلا يصلى فطفف، فقال حذيفة منذ كم نصلى هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة. قال: ما صليت أربعين عاما، ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة لمت على غير فطرة محمد ﷺ ثم قال: إن الرجل ليخفف ويتم ويحسن،^(٢).

ورحم الله أبا حامد الغزالي، فإنه أورد في كتابته منهاج العابدين بحث على العزلة والانفراد عن الناس في ذلك الزمان الذي هو فيه، وأما لو شاهد زماننا هذا لا تطلق وجوب العزلة ولزوم البيوت، وترك الحضور في الجمع والجماعات والأعياد، بل كان يحكم بحرمة الحضور لما عليه أهل زماننا اليوم من المخالفات للشريعة المطهرة في اعتقاداتهم وأعمالهم وأحوالهم، وعباداتهم وطاعاتهم، بل لحكم بالكفر الصريح الذي نراه نحن الآن منهم في الأقوال والأفعال، ونكرره بقلوبنا وألسنتنا بين إخواننا ومن نجتمع به وفي كتاباتنا وتجاريرنا في العلوم النافعة، ولا نجد من يقبله منا إلا النادر والقليل.

(١) «صحيح»

ونظر البخاري (١/ ١٦٩) (٤/ ١٨٢) ومسلم في الصلاة (٩٤/ ٩٥/ ١٠١) والترمذي (٣٦٧٢) والنسائي (٢/ ٩٩) وأحمد (٤/ ٤١٢/ ٤١٣) (٦/ ٣٤/ ٩٦/ ٢١٠/ ٢٢٩).

(٢) «تصحيح».

أخرجه النسائي (١/ ١٩٧).

ولقد ذكر الغزالي رحمه الله : ان من تيقن بالحقيقة أن الضرر الذي يلحقه من مخالطات الناس بسبب حضور الجمعة والجماعات والاعياد وغير ذلك أعظم من الضرر الذي يلحقه بتركها، فحينئذ يكون له عذر في ذلك، ولقد رأيت بمكة شرفها الله تعالى بعض المشايخ المتفردين من أهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قرية منه وسلامة ماله، فحاورته في ذلك يوماً في حال ترددي إليه، فذكر أن ما يجده من الثواب لا يفي بما يلحقه من الآثام والتبعات في الخروج إلى المسجد ولقاء الناس (*).

وجملة الأمر أنه لا عتب على المعذور، والله تعالى أعلم بالعذر، وهو عليم بذات الصدور. ثم قال بعد كلام طويل: أقول: إذا هاجت الفتن بعضها في بعض، وتراجع الأمر، وولى الناس عن أمر الدين مدبرين، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يطلبون علماً، ولا يرمقون مفيداً، ولا يعينهم أمر دينهم البتة، وترى الفتنة تعم العامة، وتدب بين الخاصة، فللعالم العذر في العزلة، والتفرد، ودفن العلم.

وإذا قال هذا الكلام أبو حامد في عصره، فماذا نحن نقول الآن بعد الألف والمائة التي بقي منها أربع سنين؟

وقال قبل ذلك في الكتاب المذكور: أعلم أيها الأخ في الدين أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه وصف زمان العزلة، وبين نعته ونعت أهله، وأمر فيه بالتفرد، وكان لا محالة أعلم بالمصالح، وأنصح لنا منا لأنفسنا، فإن وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل أمره، وأقبل نصحه، فلا شك أنه كان أعرف بما يصلح لك في زمانك، فلا تتعلل بالعلل فساد الزمان الكاذبة، ولا تخادع نفسك، وإلا فأنت هالك ولا عذر لك.

٧ - والوصف الذي ذكرنا، منها ما هو في الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال: «إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم وكانوا هكذا - وشبك بين أصابعه - فقلت: وما أصنع عند ذلك جعلني الله فداؤك؟ قال: الزم بيتك، وأملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة» (١) رواه الترمذي.

(*) بل عليه حضور الجمع والجماعات درا للفتنة وعملاً بقوله تعالى: «واركعوا مع الراكعين» وكل يؤخذ من كلامه ويرد إلى المعصوم ﷺ.

(١) تقدم رقم (٨).

٨ - وروى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من تجنب إلى الناس بما يحبون وبارز الله بما يكره، لقي الله وهو عليه غضبا به» (١). رواه الطبراني في الأوسط.

٩ - وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان آخر الزمان صارت أمتي ثلاث فرق: فرق يعبدون الله خالصا، وفرقة يعبدون الله رياء، وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس، فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال للذي يستأكل الناس: بعزتي أى شيء أردت بعبادتي؟ فيقول: وعزتك وجلالك أستأكل به الناس. قال: لم ينفعك ما جمعت، انطلقوا به إلى النار، ثم يقول للذي كان يعبد رياء: بعزتي وجلالى ما أردت بعبادتي؟ قال: بعزتك وجلالك رياء الناس. قال: ثم يصعد إلى منه شيء، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبد خالصا: بعزتي وجلالى ما أردت بعبادتي؟ فيقول: بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك منى، أردت به ذكرك ووجهك. قال: صدق عبدى، انطلقوا به إلى الجنة» (٢). رواه الطبراني في الأوسط والبيهقى عن مولى أنس ولم يسمه.

١٠ - وعن القاسم بن مخيمرة أن النبي ﷺ قال: «لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء» (٣). رواه ابن جرير الطبرى مرسلا (*).

١١ - وروى عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها، واستنشقوا ريحها، ونظروا إلى قصورها، وما أعد الله لأهلها فيها، نودوا: أن اصرفوهم عنها، لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا، لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا الجنة كان أهون علينا. قال: ذلك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظام، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراؤن الناس بخلاف ما تعطوننى، هبتم الناس ولم تهابونى، وأحللتم الناس ولم تحلونى، وتركتم للناس ولم تتركوا إلى اليوم أذيقكم العذاب مع ما حرمتهم من الثواب» (٤). أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقى.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧ / ١٨٦).

(٢) إسناده ضعيف جدا.

أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه عبيد بن إسحاق العطار وهو متروك. المجمع (١٠ / ٢٢٢).

(٣) التذكرة للفتن (١٧١) تحاف السادة المتقين (٨ / ٢٦٣).

(*) الحديث المرسل: هو ما أرسله التابعى ولم يذكر الصحابى - وهو أحد أقسام الحديث الضعيف.

(٤) الموضوعات لابن الجوزى (٣ / ١٦٢) والتذكرة لابن التيسرانى.

(١٠٤٣) والطبراني في الكبير (١٧ / ٨٦).

١٢ - وفي جامع الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله: أبى يفترون، أم على يجترثون، فبى حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الخليم منهم حيران» (١).

١٣ - وفي الترمذى أيضا عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتى بعدهم قوم يتمنون ويحبون السم، يعطون الشهادة قبل أن يسألوها» (٢).

١٤ - وفي الترمذى أيضا عن معاوية بن قررة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» (٣).

١٥ - وفي الترمذى عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أخاف على أمتى أئمة مضلين» (٤).

١٦ - وقال: «لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله» (٥). وهذا حديث صحيح.

١٧ - وفيه عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كالיום، واليوم كالساعة والساعة

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٠٤) وأحمد (١١٣ / ١) وعبد الرزاق (١٨٦٥٠).

(٢) صحيح.

أخرجه الترمذى (٣٨٥٩)، (٥٢٢١) والبخارى (٢٢٤ / ٣) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢١٢) جزء منه.

(٣) صحيح.

أخرجه الترمذى (٢١٩٢) وأحمد (٤٣٦ / ٣) والطبرانى (٢٧ / ١٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٢٣٠ / ٧) وابن عساکر فى تهذيبه (٦٥ / ١) وابن حبان (٢٣١٣ - موارد) والخطيب فى تاريخه (٤١٨ / ٨).

(٤) صحيح.

أخرجه أبو داود الترمذى (٢٢٢٩) والدارمى (٧٠ / ١) (٣١١ / ٢) وأحمد (٢٧٨ / ٥).

(٥) صحيح.

أخرجه البخارى (١٢٥ / ٩) ومسلم فى الإمارة (١٧٠).

كالضربة بالنار (١).

١٨ - وذكر الترمذى عن أبي أمية السفياني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾. قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «هل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعياً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون به مثل عملكم». قال عبد الله بن المبارك: وزاد في غيرها: قيل أيا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: لا بل أجر خمسين منكم (٢). هذا حديث حسن.

وذكر ابن مسعود في خبر آخر للمحارث بن عميرة أنه قال: إن تدفع عن عمرك فسيأتي عليك الزمان كثير خطبائوه، قليل علمائوه، كثير سؤاله، قليل معطوه، الهوى فيه قائد العلم، قال: ومتى ذاك؟ قال: إذا اميتت الصلاة، وقبلت الرشوة وابتيع الدين يعرض يسير من الدنيا، فالنجاة ويحك ثم النجاة.

قلت: وجميع ما ذكر في هذه الاخبار تراه بعينك في زمانك وأهلك، فانظر لنفسك. ثم إن السلف الصالح أجمعوا على التجريد في زمانهم وأهلك، وآثروا العزلة، وأمروا بها، وتواصوا بذلك، ولا شك أنهم كانوا أبصر وأنصح، وأن الزمان لم يصير بعدهم خيراً مما كان، بل أشر منه وأمر، وهو ما ذكر عن يوسف بن اسباط أنه قال: سمعت الشورى يقول: والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة في زماننا. قلت: لكن حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت وافترضت (*) والذي نقوله نحن: لكن حلت في زمان الشورى والغزالي كانت هي الإسلام والإيمان في زماننا، بحيث من تركها واختلط بالناس فإن إسلامه وإيمانه مجرد دعوى لا حقيقة لها في القلب، كإسلام المنافق، ومن عرف أنصف.

(١) «صحيح».

أخرجه الترمذى (٢٣٣٢) وأحمد (٥٣٧ / ٢) وابن حبان (١٨٨٧ - موارد).

(٢) تقدم رقم (٢٨).

(*) الوجوب والفرضية في حاجة إلى دليل قوى.

١٩ - قال رسول الله ﷺ : «اللهم لا يدركنى زمان ولا تدركوا زمانا لا يتبع فيه العليم، ولا يستحيا فيه من الخليم، قلوبهم قلوب الأعاجم، وألسنتهم ألسنة العرب» (١).
رواه أحمد عن سهل بن سعد . والحاكم عن أبي هريرة .

٢٠ - وقال وقال ﷺ : «سيكون فى أمتى أقوام يتعاطى فقهاؤهم عضل المسائل، أولئك شرار أمتى» (٢). رواه الطبرانى عن ثوبان . وعضل المسائل بضم العين وفتح الضاد: صعباها .

٢١ - وقال ﷺ : «سيكون رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الشياىب، ويتشددون فى الكلام، فأولئك شرار أمتى» (٣). رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية .

٢٢ - وعن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال : «سيكون فى آخر الزمان ديدان القراء، فمن أدرك ذلك فليتعوذ بالله منهم» (٤). رواه أبو نعيم فى الحلية .

٢٣ - وعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله ﷺ قال : «شرار أمتى الذين ولدوا فى النعيم وغدوا به، يأكلون من الطعام ألوانا، ويلبسون من الشياىب ألوانا، ويركبون من الدواب ألوانا، يتشددون فى الكلام» (٥). رواه الحاكم .

(١) أخرجه الحاكم (٤ / ٥١٠) .

(٢) أخرجه الطبرانى (٥ / ٣١٧) .

(٣) «حسن» .

أخرجه الطبرانى (٨ / ١٢٧) والشجرى فى احالية (٢ / ١٦٩) .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٥ / ٣١٧) .

(٥) «ضعيف الإسناد» .

أخرجه الحاكم (٣ / ٥٦٨) والفتن فى التذكرة (١٧٤) وابن عدى فى الكامل (٥ / ١٩٥٦) وابن عساکر

فى تهذيبه (٧ / ٣٥٨) .

السلف وفساد الزمان

وذكر الغزالي قال: عن سفيان الثوري أنه كتب إلى الخواص: إنك في زمان كان أصحاب محمد ﷺ يتعوذون بالله من أن يدركوه فيما بلغنا، ولهم من العلم والفضل ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه، على قلة علم، وقلة صبر وقلة أعوان على الخير، وكدر من الدنيا، وفساد من الناس، وإن عمرين الخطاب رضى الله عنه قال: في العزلة راحة من خلطاء السوء. وفي مثل هذا قيل:

في قول كعب وفي قول ابن مسعود	هذا الزمان الذي كنا نحاذره
لم يُبك ميت ولم يُفرح بمولود	إن دام هذا ولم تحدث به غير
والظلم والبغى فيه غير مردود	دهر به الحق مردود بأجمعه

ولقد وجدت عن سفيان بن عيينة أنه قال: قلت للثوري: أوصني.

قال: أقلل من معرفة الناس. قلت: يرحمك الله، اليس جاء في الخبر: أكثروا من معرفة الناس فإن لكل مؤمن شفاعته؟ قال: لا أحسبك نلت قط ما تكره إلا ممن تعرف. قلت: أجل. ثم مات، فرأيت في المنام فقلت: يا أبا عبد الله أوصني. قال: من معرفة الناس، فإن التخلص منهم شديد.

وقال الفضيل: هذا زمان احفظ فيه لسانك، وأخف مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر. وعن داود الطائي رحمه الله: صم عن الدنيا، واجعل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأسد، قال يحيى بن معاذ: رؤية الناس بساط الرياء، وهؤلاء الزهاد قد خافوا على أنفسهم من هذا المعنى حيث تركوا الملاقاة والتزاور. ولقد ذكر أن هرم بن حبان قال لأويس القرني: يا أويس، صلنا بالزيارة واللقاء، فقال: قد وصلتك بما هو أنفع منهما، وهو الدعاء عن ظهر الغيب، لأن اللقاء والزيارة يعرض منهما التزين والرياء، وقيل لسليمان الخواص: قدم إبراهيم بن أدهم، أفلا نأتيه؟ فقال: لأن القى شيطاناً مارداً أحب إلى من لقائه. فاستنكر هذا القول، فقال: إنى إذا لقيت أخاف أن

أترين له، وإذا لقيت شيطاناً مارداً امتنع منه. فهذه حال أهل الزهد والرياسة في ملاقاتهم، فكيف حال أهل الرغبة والبطالة، بل حال أهل الشر والجهالة؟.

وأعلم أن الزمان قد أصبح في فساد عظيم، وأصبح الناس في ضرر كثير فإنهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى، حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء، ثم يفسدون عليك ما حصل لك، حتى لا يكاد يسلم لك منه شيء، فلزمتك العزلة والتفرد عن الناس، والاستعاذة بالله من شر هذا الزمان وأهله، والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته.

١ - فإن قيل: لا تعارض بين النصوص اليس النبي ﷺ يقول: «عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان ذئب الإنسان يأخذ الشاردة والناحية والقاصية» (١).

٢ - وقال عليه السلام: «إن الشيطان مع الفرد، وهو من الاثنين أبعد» (٢). فاعلم أن هذه وردت، وأيضاً ورد: «الزم بيتك» و«عليك بالخاصة». وأمر بالعزلة والتفرد في زمان السوء، فلا تناقض في قوله عليه السلام.

٣ - فإن قيل: اليس الشارع ﷺ قد قال: «رهبانية أمي الجلوس في المساجد» (٣). وفيه زجر عن التفرد. فاعلم أن ذلك في غير زمن الفتنة.

٤ - وقال ﷺ: «سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته» (٤). رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي موسى.

واعلم أن الفتنة المقتضية للعزلة عن الناس في زماننا هذا ما أخبر عنه النبي ﷺ كما رواه في صرائح الأحاديث التي قدمناها، ومنها: أن تفشوا الفتنة، أي تكثروا، وقد فشت الآن وكثرت حتى وصل الناس إلى حد استحلالها، وأعانهم على ذلك علماء السوء، فيقطعون في الرجل ثم يقولون: هو مجاهر بالمعاصي، ولا تحرم غيبة المجاهر بالمعصية،

(١) «حسن الإسناد».

أخرجه أحمد (٥ / ١٤٥) والطبراني (١٢ / ٤٤٧) والنسائي وغيرهم.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده (٢٤٤) والخطابي في العزلة (٤) وابن أبي عاصم (١ / ٤٢) وابن عساكر (٦ / ٩٦) وابن حبان (٢٢٨٢ - موارد).

(٣) «ضعيف».

انظر التذكرة للفتن (٣٧) والعراقي في المغني (٤ / ٣٥٩) وكشف الخفاء (١ / ٥٢٦).

(٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٣ / ٣٥٧).

مجموع الأحاديث (٥٥) حديثاً.

والعامة تقول: نحن ما قلنا إلا صدقا.

ومنها: تعظيم أرباب الدنيا، بحيث يغفرون لهم كل معصية، ويسمونها طاعة، طمعا في دنياهم، واحتقار الفقراء جدا، بحيث يعدونهم محرومين أشقياء.

ويقولون: لو أن الله تعالى راض عنهم لرزقهم الدنيا وأغناهم.

ومنها: ظهور أهل المنكر على أهل الحق، فترى المؤمن المتقى الخائف على دينه وعلى نفسه من الزلل بين يدي المنافق والفسق والفاجر الذي لا يبالي في أي دين هو بعد رواج دعواه الإسلام والإيمان ترى هذا المؤمن بين الناس من هذا الصنف يؤذونه باليم النكال، ويفترون عليه بقبیح الاعمال والأقوال، في عرضه وفي دينه وفي عقله، ومعهم على ذلك اعوان السوء، إلى غير ذلك مما يطول شرحه.

فهذه الأمور وأمثالها هي الفتن التي هي كقطع الليل المظلم، ومن كثرة اعتبار أهل الزمان عليها، ووقوعهم فيها من غير وجود منكر فيها أصلا لا يعرفونها، ولا يعدونها شيئا، وربما يفضل بعض المغرورين زمانه هذا على الزمان الماضي، فيمدح أهله من كثرة الجهل، وعمى القلب، وانطماس البصيرة، يأكل الحرام، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا، وأين ذلك الزمان زمان المحبة بين أهله من زمان النفاق والعدوان.

أخرج الحكيم الترمذي في نواذر الأصول عن أبي الدرداء قال: مالكم لا تحابون وأنتم إخوان على الدين، ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم، ولو أجمعتم على أمر تحاببتم، ما هذا إلا من قلة الإيمان في صدوركم، ولو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها لكنتم للآخرة اطلب، فبئس القوم أنتم إلا قليلا منكم.

لقد خاطب قوما وجددهم كذلك، والآن جميعهم سالكون في هذه المسالك، فالعز في العزلة، والذل في الخلطة، وأول الغيث قطرة، والعاقل يزم نفسه بزمام العقل ويلجمها بلجام النقل، ولا يترك النفاق ينبت في قلبه بالمخالطة نبات البقل.

أئمة يعتزلون الناس

ومن وجدنا أنه لزم بيته الإمام الفقيه الحنفى الحسن البزدوى أبو ثابت الإمام ابن الإمام، ولد بسمرقند، ولما مات أبوه حمله عمه القاضى أبو اليسر المعروف بالصدر إلى بخارى، ورباه أحسن تربية، ونشأ مع ولده، وتفقه على عمه، ثم انتقل إلى مرو، وسكنها مدة، ثم لما مات ابن عمه أبو المعالى القاضى أحمد بن أبى اليسر منصرفا من الحجاز ولى القضاء ببخارى، وبقي على ذلك مدة، ثم صرف عنه، وانصرف إلى بزدة، وسكنها، وكان حسن السمات ساكنا وقورا ملازما بيته حسن الصلاة. قال السمعاني: سمعت منه المسند الكبير لعلى بن عبد العزيز فى ثلاثين جزءا، وقد ولد بسمرقند فى نيف وسبعين وأربعمائة، ومات سنة سبع وخمسين وخمسمائة. كذا فى كتاب الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية لعبد القادر القرشى.

. ومن لزم بيته أيضا الفقيه الحنفى إبراهيم بن رستم أبو بكر المروزى، أحد الاعلام، تفقه على محمد بن الحسن، وروى عن أبى عصمة نوح بن أبى مريم المروزى، وأسد بن عمرو الجبلى، وهما ممن تفقها على أبى حنيفة، وسمع من مالك والشورى وسعيد وغيرهم. قال الدارمى سألت يحيى بن معين عن إبراهيم بن رستم فقال: ثقة. وعرض عليه المأمون القضاء فامتنع، وانصرف إلى منزله، فتصدق بعشرة آلاف درهم.

ومن لزم بيته الفقيه أبو جعفر الهندوانى. قال عبد القادر القرشى فى الجواهر المضيئة فى ترجمة إبراهيم بن مسلم أبو إسحاق الشكائى، نسبة إلى سكان قرية من قرى بخارى، وهو فقيه فاضل، تفقه على أبى بكر محمد بن الفضل، قال أبو كامل البصرى: سمعت من أبى إسحاق الشكائى يقول: كنا فرغنا من تعليق الفقه، وكنا أهل الصدر فى مجلس الإمام أبى بكر محمد بن الفضل، حتى حمل الفقيه أبو جعفر الهندوانى من بلخ، فسرحننا الإمام إليه للمؤانسة وقال: ذاكروه بالمشكلات حتى يتأنس بكم الفقيه، ولا تزيدوه وحشة الوحدة.

ومن لزم بيته أيضا الفقيه الحنفى إبراهيم بن محمد بن إبراهيم من ذرية قيس بن وائل بن امرئى القيس بن عامر الصحابى، وهو الفقيه القاضى، تفقه على على بن عبد الله

الدامغانى، وكان أنظر أصحاب أبى حنيفة فى زمانه، وكان ينوب عن قاضى القضاة الزينبى إلى أن كبر وعجز عن الحركة وقعد فى داره .

ومن لزم بيته الفقيه الحنفى أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن الحسن عبد الملك القاضى الدامغانى أبو الحسن؛ وكان فاضلا من بيت علم، قال عبد القادر القرشى: ورأيت ملازما داره أول ورودى بغداد ليلة الأربعاء حادى عشر من جمادى الآخرة سنة أربعين وخمسمائة .

ومن يظهر أنه كان ملازما داره الإمام الجليل أحمد بن على أبو بكر الوراق شارح مختصر الطحاوية ذكر فى القنية أنه خرج حاجا إلى بيت الله الحرام، فلما سار مرحلة قال لأصحابه: ردونى ارتكبت سبعمائة كبيرة فى مرحلة واحدة، فردوه .

وفى كتاب المعارف لابن قتيبة(*) فى ترجمة شعبة بن الحجاج من المحدثين قال: كان يقول: والله لانا فى الشعر أسلم منى فى الحديث، ولو أردت الله خرجت إليكم، ولو أردتم الله ما جئتمونى، ولكننا نحب المدح ونكره الذم .

وذكر السيوطى فى طبقات النحاة فى ترجمة الشيخ الإمام محمد بن يوسف شمس الدين القونوى الحنفى الإمام الزاهد الأوحى الكبير، كان إماما فى عصره، أقبل آخر عمره على الحديث، ولم يشتغل بغيره، وكان صالحا دينيا زاهدا، وكان التقى السبكى يبالغ فى تعظيمه ويقول: لا أعلم اليوم مثله فى الدين والعلم، وكان لا يخرج من بيته لجماعة ولا لجمعة(**) .

وذكر أيضا فى ترجمة أبى بكر بن أحمد بن دمين: كان فقيها نبيلًا عالما عارفا بالفقه وأصوله والنحو واللغة والحديث والتفسير ورعا زاهدا صالحا عابدا متواضعا حسن السيرة قانعا باليسير، كثير الصيام والقيام، ووجيها عند الخاص والعام، يحب الخلوة والانفراد .

وذكر فى ترجمة أبى بكر بن محمد بن قاسم المرسى: اشتهر فضله وشاع، وكان مرضى الطريقة، يحب الانقطاع والخلوة .

وذكر فى ترجمة الحسن بن أحمد العطار أبى العلاء الهمداني: كان إماما فى علوم

(*) ابن قتيبة أحد أئمة الإسلام وصاحب الصفات الكثيرة ومن أشهرها «تأويل مشكل الحديث» .

(**) لعلة لكبر سنه أو مرضه والله أعلى وأعلم .

القرآن والحديث، معروفًا بالزهد وحسن السيرة في الطريقة، والتمسك بالسنن، وله تصانيف في أنواع من العلوم، وكان عفيفًا لا يتردد إلى أحد، ولا يقبل مدرسة ولا رباطًا، وإنما كان يقرئ في داره، وشاع ذكره في الآفاق، وكانت السنة شعاره، ولا يمسه الحديث إلا متوضئًا.

ومنهم أحد بن محمد بن عيسى بن الأزهرى البرتى، الفقيه الحنفى، استأذ الطحاوى، حدث بالكثير، وكتب وصنف المسند، قال الخطيب (*) كان ثقة حجة، وقد لزم بيته، واحتفل بالعبادة حتى مات رحمة الله تعالى.

وذكر الخطيب أن المترجم رأى رسول الله ﷺ في النوم وهو جالس في الموضع، فدخل عليه أبو العباس أحمد بن محمد البرتى، فقام إليه رسول الله ﷺ وصادفه، وقبل بين عينيه، وقال: مرحبًا بالذى يعمل بسنتى وأثرى، قال: وكان إذا دخل أبو العباس البرتى إلى العلاء بن صاعد قبل بين عينيه وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل بك، مات سنة ثمانين ومائتين.

ومنهم داود بن نصير الطائى، كان ممن درس الفقه وغيره من العلوم، ثم اختار بعد ذلك العزلة، كان محارب بن دثار يقول: لو كان داود فى الامم الماضى لقص الله علينا من خبره، وكان ابن المبارك يقول: وهل الامر إلا ما كان عليه داود. وقد لزم بيته عشرين سنة. قال الطحاوى: كان إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة يقول: قال محمد بن الحسن: كنت أتى داود الطائى فى بيته، فأسأله عن مسألة، فإن وقع فى قلبه أنها مما احتاج إليه لامر دينى أجابنى فيها، وإن وقع فى قلبه أنها من مسائلنا هذه تبسم فى وجهى وقال: إن لنا شغلا، إن لنا شغلا.

ومنهم محمد بن محمد بن أحمد السمرقندى، كان من فقهاء الحنيفة، وكان شيخا حسنا فاضلا جميل الطريقة، متدينا لازما لبيته، قليل المخالطة للناس، مات سنة إحدى وعشرين وستمائة.

ومنهم مسلم بن سلامة بن شبيب النفيعى. قال ابن العديم: كان فقيها فاضلا، قرأت له بيتين أجازيتهما بعد بيتين هما لعبد المحسن الصورى، وهما.

(*) العلامة المحدث صاحب تاريخ بغداد وهو يقع فى أربعة عشر مجلداً. وغيرها من التصانيف.

أنست بوحدي حتى لو أتى رأيت الأنا لا استوحشت منه
ولم تدع التجارب لي صديقا أميل إليه إلا ملت عنه

ومنهم يونس بن إبراهيم بن سليمان الصرخدي بدر الدين الحنفي، كان شيخا فاضلا عارفا بالنحو واللغة، محبا للانفراد، مات سنة سبع وتسعين وستمائة بصرخدا .

رفى كتاب المعارف عن الواقدي (*) قال : كان مالك بن أنس يأتي المسجد، ويشهد الصلوات والجماعة والجنائز، ويعود المرضى ويجلس في المسجد، ويجتمع إليه أصحابه، ثم ترك الجلوس في المسجد، فكان يصلي وينصرف إلى منزله، وترك حضور الجنائز، فكان يأتي أصحابها فيعزيهم، ثم ترك ذلك كله، فلم يكن يشهد الصلاة في المسجد ولا الجمعة، ولا يأتي أحدا فيعزيه، ولا يقضي له حقا، واحتمل الناس له ذلك، فيقول : ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره .

وإذا كان المطر والظين مقدرًا من الأعذار الشرعية في صدر الإسلام، لأن به يحصل أدنى حرج على المكلف، والحرج مرفوع شرعا، فكيف بما يحصل به أكبر حرج، وأدهى مصيبة في الدين من المناكر التي تظهر .

وفي طبقات المالكية لابن فرحون العمري قال في ترجمة أحمد بن خالد بن يزيد من أهل الأندلس يعرف بابن الحبيب، كان إماما لم يكن بالأندلس أفقه منه، ومن قاسم بن محمد بن قاسم، وغلب عليه آخر عمره نشر العلم، وكانت أمه ترى وهي حامل به من تقول لها : في بطنك نطفة تضيء منها الدنيا، وتسمع منه علما كثيرا . وألف مسند حديث مالك، وكتاب فضائل الوضوء والصلاة، وكتاب قصص الأنبياء، ولم تزل على الانقباض والعبادة ولزوم بيته، ونشر العلم، إلى أن توفي ليلة الاثنين منتصف جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة . ومولده سنة ست وأربعين ومائتين .

وذكر في ترجمة أحمد بن عمر علي بن هلال الربيعي أنه نشأ إماما عالما فاضلا يفتي في علوم شتى، ولو تأليف عديدة، منها شرح ابن الحاجب الفقهي في ثمانية أسفار

(*) هو محمد بن عمر الواقدي : متروك الحديث مع سعة علمه .

كبار، وله شرح على كافية ابن الحاجب فى النحو وتفسير آية الكرسي، وغير ذلك، وكان مع مجموع فضائله حامل الذكر، كثير العزلة عن أهل المناصب، بل عن الناس، ما عدا خواص طلبته، ونسال الله تعالى أن يصلح الأحوال، ويختم بحسن المرجع والمآل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أشرف أصحاب وأكمل رجال وآله(*) .

وقد تم ما أردنا جمعه فى هذه اللمعة نهار الثلاثاء التاسع عشر من شوال سنة ست وتسعين وألف، والحمد لله رب العالمين.

« سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

وكتبه مجدى بن منصور بن سيد الشورى

تمت بحمد الله

(*) انظر كتاب العزلة للخطابى .

فهرس كتاب المسلمون فى زمان الفتن
أو تكميل النعوت فى لزوم البيوت

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٦	الانفراد عن الناس فى الفتن
١٥	الرخصة فى اعتزال أئمة الفتنة فى المساجد
٢٤	السلف وفساد الزمان
٢٧	أئمة يعتزلون الناس

عنيت بطبعه ونشره وتوزيعه

مكتبة القاهرة

ت: ٥٩٠٥٩٠٩

الأهرس ص . ب ٩٤٦ العتبة
at of Or
جمهورية مصر العربية

رقم الأيداع

٩٦ / ٣٩٩١